الأخيضر

بقلم : ڤيرنر كاسكل (كولون*)
وترجمه : عن الالمانية
الدكتور خالد اسماعيل علي

يرتفع في قلب البادية في غربي الفرات ، وعلى نحو ١٩٣كم** جنوب غربي بغداد ، ٨٥كم شمال غربي الكوفة ، اطلال حصن الاخيضر (قصر الاخيضر) [١] وهو البناء الوحيد الباقي من مستهل العهد العباسي في العراق [٢] . ويحيط بالقصر سور يكاد يكون مربعا (١٧٥ × ١٦٩م)

(*) مقالة نشرت في مجلة (الاســـلام) Der Islam المجلد ٣٩ لعام ١٩٦٤ .

(**) تبلغ المسافة المذكورة حسب القياسات الحديثة الآن نحو ١٥٥ كم .

(١) هكذا جاء لفظها عند البدو في كتاب A. Musil, Arabia Deserta (American Geographical Society, Oriental Explorations and Studies Nr. 2), New York 1927. Register; vgl. A. M., The Middle Euphrates (Nr. 3), New York 1927, Register & A.M., The Manners and Customs of the Rwala Bedouins (No. 6), New York 1928, Register.

وسنرمز الى هذه الكتب (موسيل ٢ ، ٣ ، ٦) كما سنرمز الى خريطة موسيل التي هي باسم (بلاد العرب الشمالية) Northern Arabiah 18 بصورة : خريطة موسيل .

وقد وجدنا كتابة الاسماء حسب طريقتنا .

(***) ولقد نشـــر موسيل كتبه والخريطة الملحقة بهـا في ســنة ١٩٢٧ و ١٩٢٨ ، وهو وصف الرحـلات التي قام بها ســنة ١٩١٢ و ١٩١٤ و ١٩١٥ . ولابد ان نذكر انه ظهرت منذ ذلك الحين خرائط معتمـدة على مسوح كثـيرة أدق وأوضح من ذلك . **المترجم**

(٢) للاطلاع على ما نشر من مطبوعات اثرية حول قصر الاخيضر يمكن الرجوع الى K.A.C. Creswell, A bibliography of the Architecture, Arts and Crafts of Islam to 1st Jan. 1960, Cairo 1961, 205, 209-10.

يتصل بالقصر من ناحية الشمال ، بينما يفصله عنه من جهة الجنوب فناء واسع ومن الجهتين الاخريين فناء أضيق • ويحمي السور أربعة أبراج مستديرة في كل من اركانه الاربعة ، وعشرة ابراج نصف مستديرة في كل جانب من جوانبه ، وفي منتصف الجانب الشمالي باب مستطيلة بارزة جدا ، وابواب اصغر في جوانب السور الاخرى ، وتسند السور بين الابراج من الداخل والخارج ، دعامات عليها اطواق • وكان يمتد على السور (اصلا) ممر دفاعي ذو سقف مقوس تتخلله المزاغل للقتال كما هي الحال في الابراج • والى جانب هذه توجد مواسير عمودية تصب في نهايات الاطواق •

وكان الغرض منها ابعاد المهاجمين الذين يحتمون بزوايا السور بصب الزيت الحار أو القار عليهم • ويمكن ملاحظة وجود سكك تنزلق عليها باب مصنوعة من قضبان من حديد تقطع المتسللين الى الباب عن بقية اصحابهم ، وهناك أيضا شقوق في السقف المدور للمدخل بين قضبان الحديد والباب الداخلية تهدد المتسللين بمصير مروع كسابقه •

ويحمي القصر أيضا من جوانبه غير المتصلة بالسور ابراج مستديرة ونصف مستديرة ، الا انها بنيت للزينة أكثر منها لاغراض الدفاع • ويلي القاعة المستطيلة المتصلة بالمدخل فناء امامي يعود الى غرفة استقبال واسعة واخرى اصغر ، ويحيط بالثلاث جميعا ممر يصل الانسان عن طريقه الى اربعة بيوت (فيما يرى كريزويل) منفصلة للنساء والاطفال ومطبخين وغرف للنوم •

والى جانب قاعة المدخل توجد اطلال مسجد بني محرابه في فجوة مستطيلة في الحائط •

ويزداد عجب الانسان عندما توصف المنشآت الحربية في قصر الاخيضر بشكل اكثر تفصيلا من المنشآت المدنية ، اما السبب فيتضح فيما بعد •

ويسري الشيء نفسه على الحقائق التالية : لقد اثبت رويتر بشكل لا يقبل النقض ان البـاب المستطيلة والبارزة كثيرا لم تكن ضمن التصميم الاساسي للبناء وانما كانت هناك باب اشد ضيقا كالتي في جوانب السور الاخرى يضاف الى ذلك: ان ارتفاع السور الشمالي عند هذه الباب كان قد بلغ ثلاثة امتار عندما تبدلت خطة البناء بصورة مفاجئة • ان اضافة المنشآت الدفاعية في مدخل الحصن واطالة البناء الشمالي ، والبناء الجديد في السور الشرقي والغربي والجنوبي كل هذا حول

وان أهم كتاب عن عمارة القصر هو الذي ألفه Oskar Reuther, Ocheidir, Leipzig, 1912. Wissen. Veroff. DOG. No. 20.

اما القضايا المتعلقة بتاريخ عمارة القصر وموضعه في الاحداث التاريخية فيرجع الفضل في ابانتها الى كريزويل Creswell في ملاحظاته التي أعرب عنها في

G.L. Bell's, Palace and Mosque at Ukhaidir, a study in early Mohammadan Architecture, Oxford, 1914

وبما ان مقالتنا هذه استهدفت غايات أخرى فقد اجتزأنا بالكتاب القيم الموجز الذي أصدرته مديرية الآثار العراقية : « الاخيضر » ، بغداد ١٩٣٧ ، (وما نقل عنه في كتاب

Land of the Two Rivers, Part 3 : The Creative History of Iraq, Baghdad 1957, p. 41, 47).

وبالعرض الرائع الذي قدمه كريزويل في كتابه :

A Short Account of Early Muslim Architecture, Pelican Books (A 407), Penguin Books, Harmondworth 1938.

قصر الاخيضر الى حصن من الحصون •

ان هذا القصر الغريب القائم في البادية يوحي للمتطلع اليه اسئلة مختلفة • اولها : من سمى القصر بهذا الاسم ومنذ متى ؟ لقد قام موسيل (٣ ، ص٣٦٦ ، ملاحظة ٩٥ ، الفقرة ٣-٥) بالاجابة عن هذا السؤال اجابة صحيحة • الا ان الناس لم يصدقوه لانه لم يهتم كثيرا بآراء من سبقه وارخ القصر بسنة (٢٧٧هـ) ٨٩٠-٨٩١م لانه رأى فيه نقطة تجمع (دار الهجرة) القرامطة من سواد الكوفة [٣] • ونستطيع ان نصوغ اجابته بطريقتنا الخاصة فنقول : ان قصر الاخيضر يحمل هذا الاسم نسبة الى لقب صاحبه وهو اسماعيل بن يوسف الاخيضر الذي نصبه ابو طاهر سليمان واليا على الكوفة عام ٣١٣هـ-٩٢٦م ، بعد ان قام القرامطة العرب الشرقيون بقيادة ابي طاهر المذكور بالاستيلاء على المدينة • ولم يكن بامكانهم (أو نيتهم ؟) الاحتفاظ بالكوفة نفسها • وهكذا أصبح الحصن قاعدة لهؤلاء القرامطة في الشمال ، مثلا في الحملة التي جردت عام ٣١٥-٣١٧هـ / ٩٢٧-٩٢٩م •

أما تاريخ اخلاء القرامطة لهذا الحصن فغير اكيد • ومن المحتمل ان يكون قد وقع بعد وفاة ابي طاهر عام ٣٣٢هـ /٩٤٣-٩٤٤م حيث انتهت بهذا التاريخ فترة حكم القرامطة العنيفة [٤] •

وفي هذا الوقت ما فيه الكفاية لكي يقترن لقب الرجل الاول في هذا الحصن به (حتى اذا لم يكن هو نفسه على قيد الحياة حينئذ) وبعلق بذاكرة أهل الواحات المجاورة له [٥] •

اما السؤال الآخر فينبغي ان يكون ماذا كان اسم القصر قبل ذلك التاريخ ؟ ان هذا السؤال يمكن الاجابة عنه اذا ما حصلنا على الاخبار المتعلقة بزمن بنائه وظروف ذلك ، لقد حدد كريزويل (ص٢٠٠-٣٠٢) تاريخ بناء القصر بالنسبة الى ادلة معمارية بعام ٧٢٠ أو ٨٠٠م ، وبالنسبة الى ادلة تاريخية في الفترة الواقعة بين عام ٧٥٠-٨٠٠م • ويعتقد كريزويل ان الذي شاد القصر هو عيسى بن موسى (توفي عام ١٦٧هـ / ٧٨٣-٧٨٤م) وهو ابن اخ قديد للخليفتين

(٣) المصدر السابق ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ • لا ينبغي ان يؤاخذ موسيل عندما يخلط بين مختلف فروع الاسماعيلية التي منها قرامطة العراق ، والقرامطة العرب الشرقيين ، اذ اننا لم نتعرف على تاريخ نشوء هذه الطائفة الا بعد أن نشر الاستاذ برنارد لويس كتابه عن أصول الاسماعيلية Bernhard Lewis, The Origins of Ismailism, Cambridge, 1940.

(٤) Max. Frh. von Oppenheim, Die Beduinen, Bd., 2, Leipzig 1943, 407, 408; Bd., 3, Weisbaden 1952, p. 15-17.

وسنرمز له من الآن فصاعدا « البدو » •

(٥) ارجع الى موسيل ٣ ، ص ٣٦٦ وما يلي ، الملاحظة ٩٥ الفقرة ٨ : نصح لي الشيخ الزنجي حمّار ان اقول قصر ابن ... أو آل اخيضر بدلا من الاخيضر •

وهذا هو مثل على تمسك البدو باسماء المواضع المنسوبة : وحتى عام ١٩١٢ كانت الرولة تعرف قصر الاخيضر باسم الخفاجي • ولابد ان المقصود بذلك أحد شيوخ خفاجة التي ذكرت لاول مرة في هذه النواحي عام ٣٧٤ هـ/٩٨٤ وتركتها بعد نحو ٣٠٠ عام (Die Beduienen, Bd. 3, 214-18) • وبما ان الرولة لم تنزل هذه النواحي الا قبل زمن يسير ، فانه من المتعذر علينا تفسير معرفتها بالاسم لو لم يخبرنا موسيل ٦ ، ١٥٣ فما بعد بان متانة اسوار قصر الاخيضر قد وصفت في قصيدة ترجع بالطبع الى قبل ذلك التاريخ بقرون •

العباسيين الاولين • وفي الحقيقة ينبغي ان يميل الانسان في بادىء الامر الى هذا الرأي • على انه لا يجوز للمرء ان يقع في متاهة الاراء التي تشعبت حول نهاية عيسى (الطبري ٣ ، ٣٣١ ، ١١ - ٣٥٢ ، ١٣) والتي ضل فيها كريزويل الطريق [٦] ، وانما ينبغي عليه ان يلزم الحقائق المجردة دون ان يتساءل عن الـ (كيف) • ففي عام ١٤٧هـ / ٧٦٤-٧٦٥م عزل الخليفة ابو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م) عيسى بن موسى عن ولاية الكوفة التي ظل فيها ١٣ عاما بسبب رفضه التنازل عن حقه في الخلافة للمهدي ابن المنصور • وفي النهاية اجبر على الاذعان واتفق على أن يلي الخلافة بعد المهدي • وبعد مضي ١٢ عاما تكرر الشيء نفسه ، اذ استجاب الخليفة المهدي لضغط بني هاشم وشيعتهم من اهل خراسان [٧] في أن يغير ولاية العهد [٨]

ولما أحس عيسى بأن حياته اصبحت مهددة اطاع الامر وتنازل نهائيا عن حقه المكتوب والموعود لقاء تعويض كبير • ويذكر عمر بن شبه الراوية المعروف في نص له محاولة المهدي الاضرار بعيسى بن موسى (الطبري ٣ ، ٤٦٧) ويقول انه كانت له ضيعة في الرحبة • وكان قد اعتكف هناك وترك زيارة الكوفة الا في شهر رمضان والاعياد • على ان هذا المكان ليس هو الموضع الحالي الذي حمل الاسم نفسه (خريطة موسيل) 20 i وانما مكان آخر لا يبعد عنه كثيرا [٩] وفي جميع الاحوال لا يجوز ان يذهب الانسان الى انه موضع الاخيضر نفسه ، كما ذهب كريزويل الى ذلك ضمنا (ص ٢٠٣) •

ان المطلع على الاحداث التي وقعت بين عام ٥٨٠م و ٧٨٠م في بادية الكوفة (وقبل ذلك في الحيرة) لابد وان مر به قصر باسم قصر مقاتل [١٠] بناه مقاتل بن حسان الحيري ، وهو من الاسرة التي ينتسب اليها أيضا الشاعر وكاتب الدولة

(٦) كان لابد ان تخفق محاولة تنظيم الاخبار بشكل متسلسل عن طريق التقديم والتأخير واخراجها من الفوضى الضاربة بها (الطبري ٣ ، ٣٣٢ ، ٤ ٠٠ ، ٣٣١ ، ١٧ ٠٠ ، ٢٣٩ ، ١ ٣٣٠ ، ١٨ ٠٠ ، ٣٣٣ ، ١٢ ٠٠ ، ٣٤٥ ، ١٦)

(٧) اي اقرباؤه (وذريتهم) وقادة الجيش الذين أوصلوا العباسيين للحكم ، الطبري ٣ ، ٤٦٧ ، ٢ •

(٨) لقد أساء كريزويل فهم الجملة التالية التي تقود الى الخطأ اذا ما نظر الانسان اليها وحدها وهي في الطبري ٣ ، ٤٦٧ ، ٨-١٠ : (٠٠٠ المهدي ٠٠٠ اراد الاضرار به فولى على الكوفة روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب) وفهم كريزويل من ذلك ان هذا هو خليفة عيسى بن موسى (وبناء عليه تجاهل تاريخ عزله في عام ١٤٧ هـ/٧٦٤ م) • والصحيح ان روح هو خليفة محمد بن سليمان الذي عزل لانه كان يجل عيسى بن موسى كثيرا • الطبري ٣ ، ٣٥٢ ، ١٠-١٣ •

(٩) انظر المواضع المتعلقة بذلك في موسيل ٣ ، ١١٠ ، الملاحظة ٦١ •

(١٠) سنتمسك بهذا الاسم القديم والجيد الرواية ونضعه حيث يوجد قصر ابن مقاتل أو قصر بني مقاتل •

(*) وقد نشر الدكتور صالح احمد العلي دراسة في المجلد ٢١ من مجلة سومر لسنة ١٩٦٥ عن المنطقة التي يقع فيها قصر مقاتل ، وعنوان المقال « منطقة الكوفة » وفيه معلومات اضافية وتثبيتات للمواقع معتمدة على الخرائط الحديثة • وسنقتطف من ذلك المقال بعض النصوص ونضيفها الى الهامش • **المترجم** •

عدي بن زيد [١١] ٠

لقد ورد ذكر القصر قبل الاسلام في ثلاثة مواضع ٠ فالموضع الاول (الاغاني ج٣ ، ٢ ، ١٥٤ ٦) هو من عهد عمرو بن هند الحيري ، أي في عام ٥٦٩م على أبعد تقدير ، ويستخلص ذلك من تفسير حاذق لبيت من ابيات عدي بن زيد (الموضع السابق ص١٥٣ ، ١٦) ٠ أما الموضع الثاني فقد جاء في القصص التي تتحدث عن الحارث بن ظالم والذي سجنه النعمان الثالث في قصر مقاتل (الاغاني ج٣ ، ١١ ، ١٢٠ ، ١٠) وهناك التقى كسرى الثاني باياس بن قبيصة قبل معركة ذي قار في عام ٦٠٥م أو الارجح بعد ذلك (الاغاني ج٢ ، ٢٠ ، ١٣٤ ، ١٠) اقرأ قصر بدل غمر ٠٠٠ والموضع الثالث في الاسلام في الاخبار التالية :

في عـــام

١٤هـ /٦٣٥م كان لفارس في قصر مقاتل حامية عربية مقيمة لـ(ابن اسحاق) الطبري ١ ، ٢٣٥٠ ـ ٦ ٠

٦١هـ /٦٨٠م قطع الحسين بن علي رحلته الى الكوفة في عذيب الهجانات [١٢] ، وتحول الى قصر مقاتل ، ثم توجه من هناك الى الفرات (ابو مخنف ، الطبري ٢ ، ٣٠٢ ، ٢ ، ٣٠٥ ، ٩ ٣٠٦ ، ٥) ٠

٧٦هـ /٦٩٥م فقد شبيب بن يزيد الخارجي المشهور عند الماء المسمى اللصف al-Lusuf احد اقربائه المعادين له [١٣] وارتحل من هناك عن طريق القطقطانة وقصر مقاتل الى الفرات (ابو مخنف ، الطبري ٢ ، ٩١٥ ـ ٩١٦ ، ٦) ٠

١٢١هـ/٧٣٩م ارتحل سرا خالد بن عبدالله القسري والي العراق وخراسان الذي قبض عليه والي العراق بعده والذي أمر بعد ذلك الخليفة باطلاق سراحه ، من دوران في الجهة الشرقية من جسر السمن المقام على نهر الكوفة الى قصر مقاتل ولكنه لم يجد هناك متاعه واثقاله وموالية التي كان احد خاصته قد بعث بها قبله الى هناك ، وكان يوسف خليفته على ولاية العراق قد بعث خيلا فأخذت الزاد والاثقال والموالي ٠ فسافر خالد حينئذ عن طريق هيت الى الرصافة (الطبري ٢ ، ١٨١٣ ، ٥ ـ ١٤) ٠

١٧٠هـ/٧٨٦ـ٧٨٧م نزل هارون الرشيد ، عندما كان وليا للعهد ، لكي يتوارى عن عين أبيه الذي كان قد استثير ضده ٤٠ يوما ، حيث كان يخرج للصيد

(١١) للاطلاع على شجرة النسب : ياقوت ٤ ، ١٢٢ ، ١ـ٢ ٠ وقد نقل ياقوت شجرة النسب هذه من كتاب الانساب لهشام بن محمد ابن الكلبي ٠ وبهذا يفسر ذكر اسم ابن الكلبي في السطر الثالث هناك ٠

(١٢) حسب رواية موسيل ٣ ، ١١٠ـ١١ ، الملاحظة ٦٢.....عين السيد (خريطة موسيل 20 i)

(١٣) الطبري ٢ ، ٩١٥ ، ١٧ يقرأ هنـاك الصـلب بدلا من الصـلت ٠

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فيما جاوره . (محمد بن يحيى البرمكي ، الطبري ٣ ، ٥٧٥ ، ٣ - ١٢) .

اما شواهد الشعر فهي نادرة فمنها ان عبيد الله بن الحر الذي اعتاد ان ينهب مال الكوفة التقى هناك بجنود لمصعب بن الزبير ، وتجد ابياته حول ذلك في ياقـــوت ٤ ، ١٢٢ (انظر الى الطبري ٢ ، ٧٧٢) .

ومن ذلك أيضا ابيات لطخيم بن [ابي] الطخماء يسترجع فيها اياما قضاها مـــع بعض النصارى الحيريين يعاقرون الخمـــر في قصـــر مقاتل[١٤] .

وبما ان موقع القصر استنادا الى الاخبار التاريخية والشعرية لا يمكن تحديده الا بشكل تقريبي ، فينبغي علينا والحال هذه ان نحاول بمساعدة الجغرافيين تثبيته بدقة .

لا يشير من الجغرافيين الاوائل الا ابن الفقيه الهمداني الى ذلك بعبارة موجزة (كتاب البلدان ٥ ، ١٨) الا ان هذه الملاحظة لا تذكر سوى الاسم واصله ، مما يوجب علينا ان نرجع الى ياقوت فنجد ما يلي :

١ - نصر (الاسكندري ، توفي عام ٥٦٠هـ / ١١٥٦م) ، ياقـــوت ٣ ، ١١٣ : سَلام (عَقْلة الأسلام) [١٥] موضع قرب قصر بن مقاتل « بين عين التمر والشام » وهذا القول خطأ . اذ ان نصراً لم يكن على علم بمكان الموضعين هذين ، اذ ان الاول منهما لم يعد يسمى بذلك الاسم ولم يكن معروفاً ثم يقول في مكان آخر : فسلام محطة بعد قصر مقاتل للمغرب الذي يطلب السماوة (قرب الوديان، خريطة موسيل d 13-K 16) وهذا اختصار مخل وتصحيح فاسد لجملة تجدها في ٣ ادناه (انظر الى الهامش ١٦) .

٢ - ياقوت ٤ ، ١٢١ و : قصر مقاتل كان بـين عين التمر وبلاد الشام انظر الى ماسبق ١ . السكوني في الكتاب السابق : قصر مقاتل يقع قرب قطقطانة وسلام ثم (في الصفحه الاخرى) القُرّيات .

٣ - السكوني ، ياقـــوت ٤ ، ١٣٧ - ٠٦ :

(١٤) يشير ياقوت ٢ ، ٩٥٧ ، ٥ (البيت ١ وهذلك ٤ ، ١٢٢) الى الآمدي لانه هو نفسه عنده لفظ آخر - أحسن - حيث لا يذكر الا كلمـــة قصر وان كان المقصود بذلك قصر مقـــاتل ، الآمدي ، المؤتلف والمختلف ، نشـــر كرينكو ، القاهـــرة ١٣٥٤ ، رقم ٤٨٦ ، الاغانـــي ج٨ ص ١٧٩ س٥ يحدد التاريخ أيضا .

(*) « لقد ذكر قصر مقاتل في بعض أحداث القرن الاول الهجري ... ومات فيه قيس بن الهيثم السلمي (فتوح ٤٠٩) .. » ويذكـــر البلاذري بعد الكلام عن هجوم خالد على عكبـــرا والبردان والمخرم في منطقة بغداد : ثم عبـــر المسلمون جسرا كان معقودا عند قصر سابور الذي يعرف اليوم بقصر عيسى بن علي ، فخرج اليه خرزاد بن ماهبنداد بن ماهبنداد وكان موكلا به فقاتلوه وهزموه ثم لجوا فاتوا عين التمر (فتوح ٢٤٩) . ولا يوضح النص هل ان قصر سابور هو أصل قصر عيسى الذي ببغداد ، أم هو نفس قصر مقاتل الذي يقول البلاذري انه صار لعيسى بن علي ، أم انه قصر ثالث غيرهما » . الدكتور صالح احمد العلي (منطقة الكوفة) ص ٢٤٥ .

(١٥) موسيل٢ ، ٣٦٨ ، وفي مخططنا للمنطقة ، الاسلام .

القطقطانة تقع ... نحو ٢٠ ميلا غرب[١٦] الرهيمة (خريطة موسيل 15 g i, 19, 25 km الخط الجوي) في طريق القادسية وبلاد الشام ومنها الى سلام[١٧] ومنه الى قصر مقاتل ثم القريات[١٨] . ومن هناك الى سلام ومن هذا الى القريات ثم السماوة . والمقصود بهذا الوصف الطريق المعروفة التي تسير غرب وادي نهر الفرات الى الرصافة او الى تدمر وربما كانت تخرج من القادسية بدلا من الكوفة اذ ان الطريق اصبحت عسرة السلوك بسبب الاقنية القديمة والحديثة[*] .

٤ ـ نصر ، ياقوت ١ ، ٢٢٤ : تبل (خريطة موسيل 15 g) واد « يبعد بضع أميال عن الكوفة »[١٩] ويقع قصر مقاتل في القسم الاسفل من تبل ، اما القسم الاعلى منه فيحادد سماوة كلب (السماوة فيما مضى) . واذا ما تابع الانسان سير الوادي على الخريطه يجد ان قسمه الاسفل يسمى الآن الابَيْظ (الابيض) وانه في القسم الاسفل منه لصق الطرف الجنوبي للوادي يقع « قصر الاخيضر » وبناء على هذا يكون الاخيضر

---

(١٦) انظر ١٧ـ١٨ « مغربا .. تريد .. السماوة » .

(١٧) العبارة ساقطة من النص ، وقد اكملناه مستندين الى كلمة « منه » التي تشير الى وجود شيء قبلها وبناء على ما جاء في رقم ٢ اعلاه .

(١٨) المقصود بذلك القرى الواقعة في المنخفض شرق عين التمر وقد ذكرنا منها في مخططنا شفاثة/شثاثة التي ذكرت لاول مرة عام ١٠٥٢/٤٧٧ م .

(*) القطقطانه « وهي من عيون الطف الذي هو : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي ، وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها ، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره (ياقوت ٣/٥٣٩ الهمداني ١٧٨ ، انظر ايضا فتوح البلدان ص ٢٩٧) .

ويقول ياقوت : القطقطانة موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف به كان سجن النعمان بن المنذر (٤/١٣٧) .

كان جذيمة الابرش : دار مملكته الحيرة والانبار وبقعة هيت وعين التمر واطراف البر الى الغمير الى القطقطانة وما وراء ذلك تجبى اليه (ياقوت ٢/٣٧٩) . ولما نزل المثنى بالطف أقام ما بين غضى الى القطقطانة مسالحه (الطبري ١/ ٢٢٥١) . ولما سمع عبيد الله بن زياد بتقدم الحسين الى الكوفة : بعث الحصين بن تميم صاحب شرطة حين نزل القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية الى خفان ، وما بين القادسية الى القطقطانة والى لعلع (طبري ٢/٢٨٨ ، ٢٩٧) . وقد وصف ابن خرداذبه محطات الطريق من الكوفة الى دمشق بقوله : من الحيرة الى القطقطانة ثم الى البقعة ثم الابيض ثم الحوشي ثم الى المجمع (المسالك ص ٩٩) . وقد ذكرنا من قبل ترجيحنا أن يكون الابيض المذكور في هذا النص هو نفس وادي الابيض الذي يأخذ من تبل ويصب في هور ابي دبس ، والذي يقع عليه الاخيضر ، ولا نعلم فيما اذا كان اغفال ابن خرداذبه لذكر قصر مقاتل راجعا الى نقص في المطبوع أم الى ان الطريق في زمنه قد تحول عن قصر مقاتل . وفي الخريطة الحالية كان اسمه القطقطانة ، موضعه في نفس المنطقة التي تقع فيها القطقطانة ، ولعلها هي نفس المكان ولكن الاسم تحرف على مر الزمن » . الدكتور صالح احمد العلي (منطقة الكوفة) ص ٢٤٦ـ٤٧ .

(١٩) ان ذلك غير صحيح فان نصر تعوزه الاحاطة الدقيقة بالمنطقة . على انه يذكر بعض الاخبار الحسنة من مصادر مفقودة .

هو نفسه قصر مقاتل (٢٠) (**) .

وبخلاف ذلك فانه من المتعذر ان نجمع بين الاسمين ، فالمؤرخون يذكرون قصر مقاتل لاخر مرة عام ١٧٠هـ/٧٨٦-٧٨٧م (انظر الى ص٥ أيضا ابن الاثير ٦ ، ٦٦) ، الا اذا اعتبر الانسان شهادة ابن الفقية من عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م شهادة بوجود القصر يومئذ . وقد تغير اسم القصر قبل عام ٣٣٢هـ/٩٤٣-٩٤٤م (انظر الى ص٢-٣) أما الاسم الجديد فقد اثبته لاول مرة على ما يبدو بيترو ديلا Pietro Della عام ١٦٢٥ . على انه بالمستطاع تضييق الدائرة أكثر من ذلك ، اذ بعد دخول طغرل بك الى بغداد عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م انضمت خفاجة (انظر الى ص٣ الملاحظة ٥) الى الحزب المناوىء للسلاجقة . واعلن رئيسهم ولاء شفاثا والعين (عين التمر) للخليفة الفاطمي في الق[illegible] . واعلن مثل هذا زعماء الحزب الآ[illegible]ون[٢١] وقد جرى في واسط في العام الذي تلا ذلك اخماد نار الثورة . وسرعان ما ثار هنالك زعيم آخر من انصار الفئة المعارضة الا انه هو أيضا لم يستطع الاحتفاظ بالمدينة ، ففر الى قصر ابن الاخيضر ، غير ان مطارديه ادركوه وهو في الطريق عند النيل وتغلبوا عليه واسروه[٢٢] . فهل يستطيع الانسان ان يذهب في هذا الشأن الى انه قد وقع تصحيف في الاسم فكتب اخضر بدلا من اخيضر[٢٣] ، أو أن قصر ابن (انظر الى ماسبق ص٣ الملاحظة ٥) « اخضر » وقصر اخيضر ، حصن الخفاجي ، هما قصر واحد ؟ .

وعلى أي حال فان الثغرتين (او اذا شاء الانسان الثغرة الوحيدة الواسعة) تحتاجان الى تفسير واذا ما درس الباحث وهو في سبيل ذلك ما كتبه الجغرافيون العرب ، فانه يجد للعجب ، انهم فقدوا كل اهتمام ببادية الكوفة باستثناء طريق الحج الذي يقطعها من الجنوب . وكأن الطرق التي ذكرناها فيما سبق عن السكوني لم يعد لها وجود بالنسبة لهم : ان ذلك له علاقة بالطبع ببناء بغداد وصعود نجم هذه العاصمة الجديدة الى الافق ... وبانتقال المركز الاقتصادي انتقلت كذلك طرق التجارة . وقد اهمل الخلفاء اضافة لذلك هذه البقاع . فان العباسيين لم يعودوا حيث كانوا اول مرة الى الكوفة والامصار الاخرى على الفرات . فاذا لم يعد الجغرافيون يعرفون هذه المنطقة معرفة جيدة فانه من المنتظر كذلك الا يعلم المؤرخون عنها كثيرا . أما المتأخرون فانهم أولى الا يعلموا شيئا . وبناء على هذه الاحوال فانه ليس من الغريب ان يكون أول من يأتي على ذكر الاخيضر أوربيا . وقد أبدى الاوربيون اهتماما بالمنطقة التي كان يمر منها في القرنين ١٦ و١٧

(٢٠) يذهب موسيل ٣ ، ٣٦٤ ، الملاحظة ٩٣ دعما لرأيه الى ان القرامطة هم الذين بنوا قصر الاخيضر (انظر الى ما سبق ص ٣) ، وان قصر المقاتل هو شفاثة/شثاثة . الا ان وصفه الموضع لا يؤيد وجود قصر لهو أو صيد أو حتى خان هناك .

(**) انظر ايضا عن (الابيض) المصدر السابق ص ٢٤٥-٤٦ .

(٢١) البدو ، ج ٣ ص ٢١٦ ، ابن الاثير ٩ ، ٤٢٣ .

(٢٢) ابن الاثير ٩ ، ٤٢٩ وما يلي .

(٢٣) ان المشتغلين بالمخطوطات العربية يعلمون ان هناك من المشاكل ما هو اسوأ من سقوط حرف من الحروف .

الطريق البرى ، اي طريق السكوني (وبقيته الى البصرة) .

وقد كتب ياقوت (٤ ، ١٢٢ ، ٤) كلاما كثيرا عن صاحب القصر الجديد : واخربه عيسى بن علي بن عبدالله ثم جدد عمارته فهو له ، ويستدل من الجملة الاخيرة على أن كاتب الكلام السابق شخص عاصر تلك الاحداث ، وربما يكون ابن الكلبي الذي كان ياقوت يقتبس منه قبل ذكره لهذا الكلام . ولم تكن لعيسي بن علي وهو عم الخليفتين العباسيين الاوليين محاسن أو مساوىء اسرته ، كان ضعيفا الا انه كان كالمنصور مولعا بالبناء[٢٤] . وكان يحتاج بسبب ذلك الى مال لايمكن ان يحصل عليه الانسان كأمير في ذلك الوقت الا كصاحب اقطاع كبير . واضافة الى الأرض التي اقطعها الخليفة له ولسائر افراد البيت العباسي في غربي بغداد ، بنى له هناك قصرا سماه قصر عيسى . وكان يقع على مصب نهر عيسى الذي حفره ، وهو اعلى الانهر التي تخرج من الفرات الى دجلة . وحصل من جديد بعد ذلك على اقطاع كبير[٢٥] . وكان لعيسى في جرجرايا في أسفل النهروان ، على الجانب الاخر من دجلة ، جنوب شرقي بغداد ضيعة . ويمتلك اولاد عيسى بن علي في النسوخ ... (جنوب) شرقي القادسية قبل خفتان ماء وقرية ، وقد افاد بهذا السكوني (ياقوت ٤ ، ٧٨٢) ، وبالتأكيد فان اولاد عيسى بن علي ورثوا ذلك كله عن ابيهم . من هذا كله نستنتج ان ذلك هو الرجل الذي اخرب قصر مقاتل وبني هناك ذلك القصر الضخم . ولكن متى كان ذلك ؟

اذا ما اردنا الاجابة عن هذا السؤال وجب علينا ان نسترجع ذكرى جملتين وردتا في مستهل هذه المقالة « ... غيّر خطة البناء بشكل مفاجيء ... كل هذا حوّل ... قصر الاخيضر الى حصن من الحصون » ، وبالطبع تم ذلك بطلب من الخليفه أو بالاتفاق معه واذا ما تصفحنا ترجمة المنصور في البحث الذي قام به تيودور نولدكه ونشره في كتابه « صور من التاريخ الشرقي Orientalischen Skizzen فاننا نجد هناك قصة واحدة تبرز مثل هذه الاجراءات ، ثورة ابراهيم بن عبدالله العلوي في البصرة في أواخر شعبان من عام ١٤٥هـ/٢٢ تشرين الثاني ٧٦٢م والتي أخذت تهدد قلب الدولة وعاصمتها الكوفة تهديدا مباشرا، خاصة وقد أصبح الخليفة بمعزل عن جنده ، بعد أن وجه جيشا جراراً الى المدينة لاخماد الثورة التي اذكاها هناك محمد اخو ابراهيم قبل ذلك باسابيع قليلة . فأصبح بناء على ذلك لكل نقطة محصنة قرب العاصمة ، التي لم يبق من يدافع عنها ، أهميتها ، اذ انه كان يصعب التنبوء بالنصر العاجل في المدينة والعسير عند الكوفة (مستهل ذي الحجة عام ١٤٥هـ / اواخر شباط ٧٦٣م) . وفي صيف عام ٧٦٢ كان الخليفة قد

(٢٤) للاطلاع على ترجمته ارجع الى الطبري ، الفهرست ، وابن قتيبة ، كتاب المعارف . نشر فوستنفلد ص ١٩٠ ، ١ ، ولمعرفة مبانيه ارجع الى ياقوت ٤ ، ١١٧ ، ١٤٣ ، ٨٤٢ ، وقد توفي في عهد المهدي ١٥٨ ـ ١٦٩ هـ/٧٧٥ـ٧٨٥ م ، وحسب رواية ياقوت ، الفهرست ، عام ١٦٤هـ / ٧٨٠ـ٧٨١ م .

(٢٥) يمكن تحديد الموضع بواسطة البرج المسمى القايم والذي ما زال ماثلا ، موسيل رقم ٣ ، ٣٥٧ ـ ٥٩ ، الخريطة d 20

بدأ ببناء عاصمة جديدة • وقد توقف العمل بسبب الثورات المذكورة وقرب من الانتهاء عام ٧٦٤ (فرغ من بناء السور بعد ذلك باربع سنين)•

وانتقل عيسى بن علي كسائر العباسيين الى مدينة السلام/بغداد • أما كيف عاش هناك فهذا ما لا نعلمه ، وحتى من وجهة النظر هذه فان تحديد تاريخ متأخر أكثر من هذا لتجديد عمارة قصر مقاتل غير مقبول• على أن هناك رأيا معارضا واحدا يمكن الاحتجاج بـه : لماذا قام عيسى بن علي بتجديد عمارة قصر مقاتل مع أنه كان يعلم ان المنصور كان منشغلا في الوقت ذاته ببناء عاصمة جديدة ؟ والجواب على ذلك هو انه لم يكن يعلم بصعود نجم بغداد ، اذ انها لم تكن العاصمة الاولى وانما الثالثة لبني العباس •

وبهذا نلزم رأينا القائل : ان عيسى بن علي جدد في عام ١٤٥هـ/٧٦٢م عمارة قصر مقاتل الذي سمي بعد ذلك قصر الاخيضر •

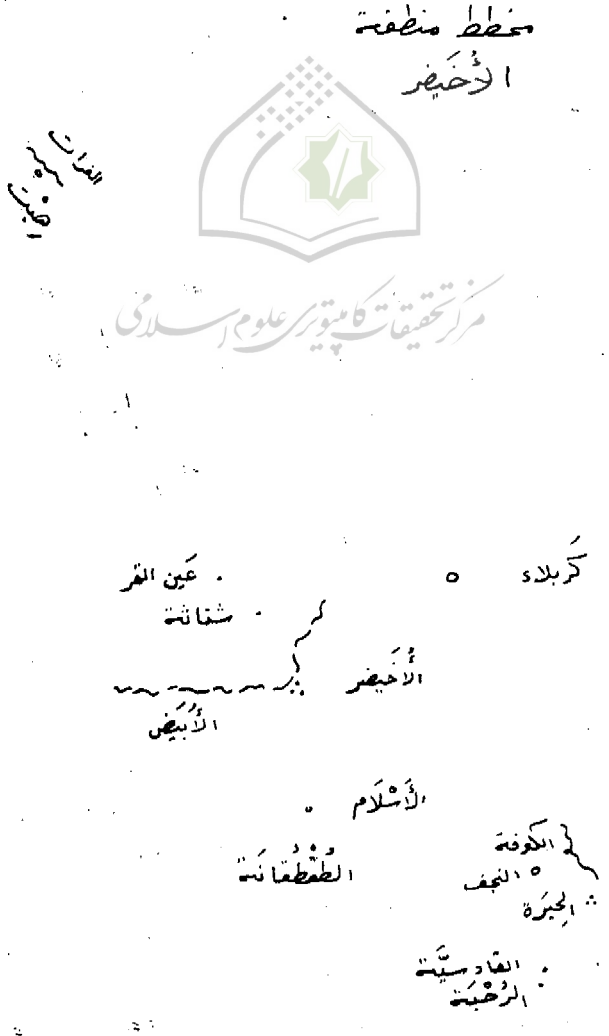

مخطط منطقة الاخيضر